

الفصل الثاني: مصادر الثقافة

صفحة 37

الفصل الثاني
مصادر الثقافة الإسلامية
وروافدها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مصادر الثقافة الإسلامية. وفيه مطلبان
المطلب الأول: القرآن الكريم
المطلب الثاني: السنة النبوية

المبحث الثاني : روافد الثقافة الإسلامية. وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: الفكر والتراث الإسلامي
المطلب الثاني : الفقه الإسلامي ومذاهبه
المطلب الثالث: اللغة العربية
المطلب الرابع : التاريخ الإسلامي

-37-

صفحة 38

-38-

صفحة 39

الفصل الثاني
مصادر الثقافة الإسلامية وروافدها

المبحث الأول
مصادر الثقافة الإسلامية

إن المصدر الرئيس لثقافتنا الإسلامية هو الدين الإسلامي القائم على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة» إضافة إلى مصادر أخرى هي بمثابة روافد لثقافتنا وبهذا تفترق الثقافة الإسلامية عن ثقافات الأمم الأخرى في مصدرها وهو الإنسان أما ثقافتنا الإسلامية فمصدرها الوحي. وهذا يترتب عليه الأثر الكبير الذي يحتم علينا التمسك بثقافتنا الإسلامية وعدم اتباع سبل الثقافات الأخرى لأننا ستندج تعارضاً كبيراً بين ثقافتنا الإسلامية وبين غيرها من الثقافات وسيتجلى هذا التعارض والافتراق عند تناولنا لمصادر الثقافة الإسلامية.

المطلب الأول

القرآن الكريم

تل نهد

أولاً: في اللغة: اختلف العلماء على أكثر من رأي في أصل كلمة 'قرآن'؛

ومن أهم هذه الآراء:

الرأي الأول: إن أصل كلمة 'قرآن' هو علم يدل على الكلام المنزل على محمد وي كالإنجيل والتوراة فهما علمان.

-39-

صفحة 40

أراي الثاني: إن أصل كلمة 'قرآن' مشتقة «وأصحاب هذا الرأي اختلفوا أيضاً في أصل الاشتقاق؛ فمنهم من رأى أن كلمة 'قرآن' مشتقة من 'قرن' بمعنى الضم؛ ومنهم من رأى أنها مشتقة من 'قرأ' بمعنى تلا وجمع.!!)

ثانياً: في الاصطلاح: القرآن الكريم هو: كلام الله المنزل على محمد 28 المعجز المتعبد بتلاوته؛ المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر.

شرح مفردات التعريف:

قولنا "كلام الله" يعني إضافة الكلام إلى الله» وبالتالي فكلام غير الله لا يعتد قرآناً ويخرج بهذا القيد الأحاديث النبوية.

وقولنا "المنزل" يعني كلام الله الذي نزل والكلام الذي أنزله الله قليل جداً بالنسبة لكلامه الذي لم ينزل؛ يقول الله: +فُلِّلُوْكُمْ لَع هَرَادَا لَكَتْ وَقْ نَدْرِيْل أَنْفْ دَكَتْ رَقْ وَلَزْ نَبْلُوْ مَدَه (3 © 4 (الكهف: 109)» ولذلك لا يعتبر قرآناً كلام

الله الذي لم ينزل.

وقولنا 'على محمد ولك' يعني ما نزل على سيدنا محمد يي فقطء وبالتالي ما نزل على غيره من الأنبياء والرسل كالتوراة والإنجيل لا يعتبر قرآناً.

وقولنا "المعجز" يعني الإعجاز عن الإتيان بمثل القرآن» أو بمثل سورة من مثله كما أخبر بذلك الله تبارك وتعالى.

وقولنا: "المتعبد بتلاوته" أي أن تلاوته عبادة» داخل الصلاة وخارجها وبهذا لا يعتبر قرآناً الحديث القدسي وإن كان باللفظ والمعنى من عند الله عز وجل؛ و يعتبر قرآناً كذلك القرآن المنسوخ تلاوة. وخرج كذلك القراءات التفسيرية.

وقولنا "المكتوب في المصاحف" لأنه جمعٌ لما كان قد كتب زمن النبي يك الذي أمر بكتابته كما علمه جبريل الكتكئية إياه.

(' مصبحي الصالح؛ مباحث في علوم القرآنء ص17-20: محمد المجالي؛ الوجيز في ع

الكتاب العزيز» ص11-12.

صفحة 41

وقولنا 'المنقول بالتواتر' أي نقله جمع غفير لا يتوهم تواطؤهم على الكذب عن جمع مثلهم حتى انتهى إلى الرسول كل وهكذا فالقرآن كله نقل إلينا بطريق قطعي الثبوت» وخرج بهذا القراءات الشاذة غير المتواترة.(1)

أسماء القرآن الكريم:

للقرآن الكريم أسماء كثيرة؛ منها:

1- القرآن: وهو الاسم المشهور يقول تعالى: >> إِنَّ مَدَا لِيَانَ يَمِي لِّلّٰى
يَحْ أَوْمْ « (الإسراء: 9).

2- الكتاب: وسمي بذلك إشارة إلى جمعه في السطورء إذ من شأن الكتاب أن يكتب ويدون» يقول تعالى: > (ك نسيت بكار ذه مك فين © 4 (البقرة: 2).

وهذان الاسمان -القرآن والكتاب- من أكثر الأسماء ذكرأء وفي هذا إشارة إلى حفظ هذا الوحي بوسيلتين في الصدور قراءة» وفي السطور كتابة.

3- الفرقان: يقول تعالى: « تَبَاتِكَ لَدَىٰ لُمرَوَانٍ عَل عَبِي لِيَكُنَّ يَلْتَلِبَتِ
ا () 4 (الفرقان: 1). وسمي القرآن فرقاناً لأنه يفرق بين الحق والباطل.

4- الذكر: يقول تعالى: + (إِنَّا حَنُّ تَنَا الذِّكْرَ وَإِنْ د لَوِطُوت 57) « (الحجر: 9)
وسمي القرآن ذكراً لما فيه من التذكرة ج وَإِنَّهُ لَكُر يَلْمِيَيْنَ (2) 4 (الحاقة: 48
ومن معاني الذكر أيضاً الشرف « وَتَهُ كَد لَلْكَ لَتَوِيكُ وَسَرَق تَقَار (5) ()
(الزخرف: 44) وهناك من العلماء من ذكر أسماء أخرى للقرآن الكريم منها
"التنزيل" و"العزیز" و"المجید" وربما كان في هذا خلط بين التسمية والوصف.

' إبراهيم زيد الكيلاني؛ علوم القرآن الكريم؛ ص14-12؛ محمد المجالي؛ المرجع
ص17-19.

0) صبحي الصالح؛ المصدر السابق ص21-17» محمد المجالي؛ المرجع السابق ص15-

-41-

صفحة 42

فرول الشراّن الكریم:

أبتداً نزول القرآن على سيدنا محمد ول في ليلة القدر من شهر رمضان يقول
تعالى: لِإِسْهَرُ رِصَانِ إِلَى أَنْزِلَ دَ الْأُخْرَاءُ (البقرة: 185).

ويقول تعالى: إِنْ أَلِهَ فَيَهِ أَلَدِرِ 5 « (القدر: 1) والراجح عند العلماء
أن للقرآن تنزيلين» هما:

التنسريل الأول: نزوله جملة واحدة ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت
انعزة في السماء الدنيا

التنسريل الثاني: نزوله مفزقاً من بيت العزة في السماء الدنيا على قلب سيدنا
محمد #ه نمدة ثلاث وعشرين سنة: (1)
الحكمة من نول القرآن منجما (مفرقا):

ذكرنا أن نزول القرآن استمر لمدة ثلاث وعشرين سنة» ولنزول القرآن
الكریم منجماً حكماً كثيرة. أهمها:

1- تثبت فؤاد النبي ف#لُط: أمام ما يلاقيه من أذى المشركين واتهامهم له بالكذب والجنون والكهانة وتهديده» وبالتالي فنزول القرآن منجماً يشعره 6 أنه ليس وحده؛ الأمر الذي يشد من عضدهء ونجد بعض الآيات تحته مباشرة وك على الصبر والتحمل كقوله تعالى: « تَمَيِّرْ صَا جَبَلًا (5) » (المعارج: 5). وقوله تعالى: «سُ رَك سَبَر وَلَا الْمَرْم تَالرُسُلِ» (الأحقاف: 35). والتثبیت هنا ليس للنبي 26 فقط» بل ولصحابته الكرام. وهذه هي الحكمة الأولى من نزول القرآن الكريم متجم قال تعالى: ا وَآل كدرو وَكَآل عله لمان له وده كَدَلِك ليت بد وده َّه ر بلا 45) (الفرقان: 32).

لل مناع القطان؛ مباحث في علوم القرآنء م103-100.

-42-

صفحة 43

2- التحدي والإعجاز: فمجيء القرآن الكريم منجماً أبلغ في التحدي والإعجاز من نزوله دفعة واحدة. فعندئذ سيقول الفريق المستهدف في التحدي لا طاقة لنا أن نأتي بمثل هذا القرآن جميعه.

3- تيسير حفظه وفهمه على الرسول #أل وعلى المسلمين: يقول تعالى: ل (دف مضه نر عل التآيس عَك مَكَّتِ وَوَزَهُ كا (5) » (الإسراء: 106) والمقصود بالمكث هنا: التمهّل ليتمكن من حفظه وفهمه.!!)

4- التلطف بالنبي #ل عند نزول الوحي: وذلك بسبب روعة القرآن الكريم وهيبته» فهو الكتاب الذي لو نزل على جبل لتصدع من جلاله وهيبته. قال تعالى: ا ل را مدا الرءان عَل بل له خَسَعًا تُصَدَعًا يَنْ حِيَّة له » (الحشر: 21) فكيف بقلب النبي الرقيق!

5- مسايرة الحوادث والوقائع في حينها: فكلما استجد أمرء أو حصل خطأ أو انحراف نزل القرآن الكريم على سبيل التعريف والتنبيه. ومن أمثلة ذلك:

ما حدث في غزوة حنين: فعندما رأى المسلمون أن عددهم يزيد على عدد المشركين دخل الغرور إلى نفوسهم وقالوا: (لن تغلب اليوم من قلة) فكانت النتيجة د ا امي فنزل القرآن وسجل ذلك فقال الله عز وجل: 51

56 ط ست م شن عدصت كيك و كآئك يسك الاش
يَمَارِذِ ۚ حَبَّتْ 2 وَعَثُوس 0

6- التترج فى التشرىع: قر نر القرآن بما فىه من أحكام وتشرىعات جملة واحدة لوقع الناس فى ضىق وحرء. وربما لم يلتزم أكثرهم بهذه التشرىعات والأحكام. تقول السىة عائشة رضى الله عنها: "إنما نزل أول ما نزل منه سورة

() ابن كثرء تفسىر القرآن العظمى ج65/3.
لـ خالد إىراهم الفتىانى» مباحث فى علوم القرآنء ص69-67. مناع القطان المرجى ص110 وما بعدهاء محمد المآلى المرجع السابق ص57 وما بعدهاء.

-43-

صفحة 44

المفصل فىها ذكر الجنة والنارء حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام؛ ولو نزل أول شىء: لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداء ولو ن لا زنواء لقالوا: لا ندع الزنا أبدًا". (١)

ومن أبرز الأمثلة على التدرء فى التشرىع مسألة تحرىم الخمر التى مرت فى أربع مراحل؛ ولم يذكر التحرىم الصرىح لها إلا فى المرحلة الرابعة؛ وهذه المراهى:

أ- المرحلة الأولى: قوله تعالى: « رَيْنَ تَمَرَّتِ اللَّيْلِ وَالْقَنْتَبِ تَتَدُونُ يَنهُ سَكْرًا وَرِنْدًا نَا | فِى ذَلِكْ يَه لِعَرِيْنَقْلُون 5 » (النحل: 67): فقد أشارت الآية الكرىمة إلى أن المسكر لىس رزقاً حسناً دون الإشارة إلى التحرىم.

ب- المرحلة الثانية: قوله تعالى: (* يَسْئَلُكَ عَمِ الْكَتْنَرِ وَمَنِ قَل 1 نم كبر وم لایس وإمهمآ خب ين لما « (البقرة: 219). وقد بینت الآية الكرىمة أن أضرار الخمر الصهىة تفوق منافعها التجارىة؛ ولم تشر أيضاً إلى التحرىم.

ج- المرحلة الثالثة: قوله تعالى: 2) يَتَأَيُّهَا أَلَذِينَ أَمُوا لَا يَمِىَا الْكَصْكَرَةَ وَبِرْ شَكْرِي حَقُّ تَدَلَمُوا مَا مُوا إِن ه (النساء: 43)؛ وهذه الآية لم تحرم الخمر مطلقاً حرمتها وقت الصلاة حتى لا يقرب المسلم الصلاة وهو سكرانء وفى المراهل الثلاثة السابقة تهىأة لتقبل تحرىم الخمر مطلقاً.

د- المرحلة الرابعة: وهى مرحلة تحرىم الخمر مطلقاً: حيث نزل النص

القرآني الفاصل في أمر الخمر فقال تعالى: (أي آن , #مثيا إن 51د . تائيه
الب والائه يحيي ين عمل لين يوه انلحم مدخو (5) يكنا يبه ليطن أن يوقم
ين لان ولق في لخر اتيتم تلم عن وق ل وص الشكرة هل لم تئية ())

أخرجه البخاري في صحيحه (4993).

-44-

صفحة 45

(المائدة: 90-91) وهاتان الآيتان صريحتان في تحريم الخمر وكان جواب
الصحابة على الآية: انتهيناهما. (!)

7- الدلالة القاطعة على أن القرآن الكريم من عند الله عز وجل: فنزوله
منجماً على قلب رسول الله ﷺ في ثلاث وعشرين سنة مع هذا الإحكام والدقة
والترابط في المعاني والتناسق بين الآيات والسور دلالة على أنه ليس من عند بشر
بل هو من عند الله. ©)

القرآن المكي والمدني:

الرأي الراجح عند العلماء في التفريق بين القرآن المكي والمدني « أن القرآن
المكي ما نزل قبل الهجرة ولو كان نزوله خارج مكة » والمدني ما نزل بعد الهجرة
ولو نزل خارج المدينة.

أهمية معرفة القرآن المكي والمدني:

إن تحديد القرآن المكي من المدني يفيد في معرفة أمرين هامين هما :

أ- معرفة المتقدم والمتأخر من النصوص بما يفيد الترجيح بين هذه
النصوص وكذلك معرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص من
الآيات.

ب- معرفة الأسلوب الأمثل في الدعوة؛ إذ لكل مرحلة أسلوبها الدعوي
وبالتالي نخاطب الناس بحكمة؛ كما أمرنا الله عز وجل بذلك؛. حيث
قال: ج أذع إل سمل ريك بلكمة والموعة كلستة « (النحل: 3). (125)

(محمد المجالي؛ المرجع السابق ص61-59) خالد إبراهيم الفتيا ني المرجع الس

60 مناع القطان» المرجع السابق ص116.

() محمد المجالي؛ المرجع السابق ص89-88.

-46-

صفحة 46

ضوابط وخصائص القرآن المكي والقرآن المدني: ()

أ- ضوابط القرآن المكي:

- 1 - كل سورة فيها سجدة.
- 2 - كل سورة فيها لفظ (كلا).
- 3 - كل سورة فيها بايا آلتا 4 وذلك بالنظر إلى أغلب السورة، وإلا فهناك سور مكية ورد فيها بها عامتوا .
- 4 - ككل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة سوى سورة البقرة؛ فهي
- 5 - كل سورة فيها قصة آدم الك وإبليس سوى سورة البقرة» فهي مدنية.
- 6 - كل سورة تُفتح بحروف التهجي مثل (ألم) و(ق) ونحو ذلك.» سوى سورتي البقرة وآل عمران فهما مدنيتان.

ب- خصائص القرآن المكي:

- 1 - قصر الآيات والصور وإيجازها مع قوة الألفاظ.
- 2 - الدعوة إلى أصول الإيمان وأركانها وكل ما يتعلق بحقائق اليوم الآخر.
- 3 - الدعوة إلى التمسك بالأخلاق الكريمة» والاستقامة على الخير» وفضح المشركين في جرائمهم كسفك الدماء ووأد البنات» والزنى ونحو ذلك.
- 4 - مجادلة المشركين بالبراهين العقلية والآيات الكونية.
- 5 - كثرة القسم.

ج- ضوابط القرآن المدني:

- 1 - كل سورة فيها فريضة أو حد.
- 2 - كل سورة فيها ذكر للجهاد.
- 3 - كل سورة فيها ذكر المنافقين سوى سورة العنكبوت؛ فهي مكية.

(') خالد إبراهيم الفتيا ني؛ المرجع السابق. ص104-102.

-46-

صفحة 47

4- كل سورة فيها «إِيَّهَا أَل مَآئِيا» 4 وذلك بالنظر إلى أغلب آيات السورة وإلا فهناك سور مدنية ورد فيها © يَتَأَيَّهَا النَّاسُ 4 كسورة البقرة.

د- خصائص القرآن المدني:

- 1- طول الآيات والسور في أسلوب تشريعي إطنابي هادئ.
- 2- تفصيل أحكام الحدود والفرائض والمعاملات» والحقوق الاجتماعية والقوانين المدنية والدولية.
- 3- مخاطبة أهل الكتاب (اليهود والنصارى).
- 4- الكشف عن سلوك المنافقين.

أول ما نزل من القرآن الكريم وآخر ما نزل منه:

أول ما نزل على الإطلاق على الرأي الراجح عند العلماء هو قوله تعالى:

3 أُنزِلَ فِيهِ رَدُّ أَيْهِ خَلَقَ (3) كَ لَانِ بْنِ لَ (2) انزأ وك الثم (2) الى عل بلق 120 لَانَّ مَالَرِيْمَ 2 4 (العلق: 1-5).

وآخر ما نزل على الإطلاق على الرأي الراجح عند العلماء هو قوله تعالى:

١ دَأْتَا مَا وَجُوتِ يَف د إ ل اله كم مُكَل نين مَاحَسَبَت وَمَم ل يَللو (©) « (البقرة: 281). وسبحان الله العظيم فإن العلاقة بينة واضحة بين أول ما نزل و يتحدث عن ولادة الإنسان وخلق الله له» وبين آخر ما نزل والذي يتحدث عن وفاته ورجوعه إلى الله ليحاسب يوم القيامة على ما عمل.

جمع القرآن الكريم:

أولاً- في عهد الرسول 8:

لم يجمع القرآن الكريم في عهد الرسول # في مصحف أو صحف وإنما

كانت تنزل عليه الآيات الكريمة فيحفظها حفظاً واعياً وتاماً وقد تكفل الله عز

صفحة 48

بتحفيظ الرسول © ما ينزل عليه من قرآن يقول تعالى: شَفْرُكَمْ م تَسَع (5) «

(الأعلى: 6)؛ وقد بلغ من حرصه # على حفظ القرآن أنه كان يحرك لسانه به

وهو يعاني ما يعانيه من الوحي فطمأنه ربه تبارك وتعالى أنه سيحفظ له هذا

القرآن» ويجمعه له في صدره؛ يقول تعالى: + (مرك بو لسك تَتَجَلُّ بده (50) د° نا

نهم وفنا (090) قَادَامَرَأُم يم ما نم (2) من علد بان (8) 4 (القيامة: 16-19).

وكان جبريل الكليلا يعارض -أي يدارس- النبي هل القرآن في كل عام مرة واحدة؛ وعارضه إياه في العام الأخير من حياته الكلثل: مرتين» قالت السيدة ع والسيدة فاطمة رضي الله عنهما: سمعنا رسول الله #8 يقول: "إن جبريل كان يعارضني القرآن في كل سنة مرة؛ وإنه عارضني العام مرتين؛ ولا أراه إلا حضر أجلي". (1)

وكلما نزل على رسول الله قرآناً حفظه واتبع طريقتين في حفظه:

الطريقة الأولى: الحفظ في الصدور: فكان القرآن الكريم كله محفوظ في صدر الرسول إل وفي صدور الصحابة؛ وكان هناك عدد كبير من الصحابة يحفظون القرآن كله

الطريقة الثانية: الحفظ في السطور: ويقصد بذلك كتابة القرآن الكريم؛ فقد كان القرآن كله مكتوباً فقد اتخذ رسول الله كتاباً لكتابة ما ينزل من القرآن (كتاب الوحي). منهم: الخلفاء الراشدين الأربعة» ومعاوية بن أبي سفيان؛ وزيد ثابت؛ وأبي بن كعب وغيرهم من الصحابة.)

(0 أخرجه البخاري في صحيحه (3624).

(2) إبراهيم علي عمرء القرآن الكريم؛ تاريخه وآدابه. ص41-36.

صفحة 49

ثانياً- جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق #5هـ:

ويتضح ذلك من خلال النقاط التالية: (١١)

1- الباعث على جمع القرآن الكريم: هو الخشية من ضياع القرآن نتيجة اشتداد القتل بقرائه وحفظته في مواطن القتال.

2- صاحب فكرة جمع القرآن الكريم هو عمر بن الخطاب #5هـ.

3- الأسباب التي رشحت (زيد بن ثابت) لهذه المهمة الجليلة:

أ- كان من الحفظة والكتبة.

ب- كان شاباً جلدأً قوياً قادراً على العمل الشاق.

ج- كان معروفاً بذكائه وضبطه؛ ودقة تحريه.

د- شهد (العرأضة الأخيرة) وهو السبب الذي امتاز به زيد عن بقية الصحابة.

4- خطة (زيد) في جمع القرآن الكريم: وقد اعتمد على مصدرين هما:

الأول: ما كتب بين يدي رسول الله ﷺ (الكتابة).

الثاني: ما حفظ في صدور الرجال (الحفظ).

- 5- صارت الصحف التي جمع فيها القرآن الكريم إلى حفصة بنت عمر لا إلى الخليفة الجديد (عثمان).
- وهنا أثارت 'دائرة المعارف الإسلامية' شبهة حول هذا الموضوع وهي ألم يكن عثمان أجدر أن تودع هذه الصحف عنده؟ وللدرد على هذه الشبهة تقول: بل حفصة أولى وأجدر للأسباب التالية:
- أ- لأن عمر أوصى بأن تكون الصحف مودعة لديها.
- ب- لأنها زوج رسول الله (أم المؤمنين).
- ج- لأنها من حفظة القرآن الكريم كله» وتمكنها من القراءة والكتابة.
- (') خالد إبراهيم الفتيا ني؛ الجنان في علوم القرآن الكريم؛ ص49-53.

-49-

صفحة 50

- د- لأن عمر جعل أمر الخلافة شوري من بعده.

- 6- يُعَدُّ أبا بكر أول من جمع القرآن الكريم في صحف مجتمعة؛ مرتب الآيات والسور والذي تم خلال سنة واحدة تقريباً وكان بعد موقعة اليمامة في السنة الثانية عشرة للهجرة.
- ثالثاً- جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان طده:

يسمى العمل الذي قام به عثمان بالنسبة للقرآن الكريم نسخاً؛ لأنه استند في استنساخه المصاحف على النسخة التي جمعت في عهد أبي بكر ذه من الوسائل الكتابية التي كتب عليها القرآن الكريم زمن النبي كله ومن صدور الرجال.

ويتضح عمل عثمان 5هـ من خلال النقاط التالية: (1)

- 1- الباعث على نسخ القرآن الكريم هو: اختلاف المسلمين في قراءة القرآن الكريم؛ بعد دخول أعداد كبيرة في الإسلام من غير العرب نتيجة الفتوحات الإسلامية. فقد كان أهل المدينة المنورة يقرؤون القرآن الكريم بقراءة (مصعب بن عمير) وأهل مكة المكرمة بقراءة (معاذ بن جبل)؛ وأهل الشام بقراءة (أبي بن كعب)؛ وأهل العراق بقراءة (عبد الله ابن مسعود)، وغيرهم من البلدان بقراءة (أبي موسى الأشعري).

- 2- كلف عثمان لهذا العمل لجنة تتكون من أربعة أفراد. واحد مدني أنصاري هو زيد بن ثابت» والثلاثة الباقون: مكيون قرشيون؛ وهم: عبد

الله بن الزبير» وسعيد بن العاص» وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام.

3- وضع عثمان منهجاً لأعضاء اللجنة الرباعية سمي ب(الرسم العثماني) ويتمثل في اعتماد اللسان القرشي عند حدوث الخلاف؛ لأن القرآن الكريم نزل بلغة قريش» فهي اللغة المتواترة والمفضلة أكثر من غيرها لكتابة النص القرآني؛ وهذا ما أكد عليه عثمان في قوله للرهط القرشيين الثلاثة

(0 خالد إبراهيم الفتيا ني؛ الجنان في علوم القرآن الكريم؛ ص 53-56

-50-

صفحة 51

(إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم).!!)

4- عدد المصاحب التي نسخها عثمان سبعة -وهو القول الراجح الذي عليه أكثر الباحثين- وأرسلها إلى الأقطار الإسلامية التالية: مكة المكرمة؛ الكوفة؛ البصرة؛ الشام؛ اليمن البحريين» وترك واحداً في المدينة المنورة.

5- أمر عثمان بإحراق كل المصاحف الفردية الخاصة؛ لأن بقاءها يزيد من أسباب الشقاق والاختلاف في قراءة القرآن الكريم.

6- بدأ العمل بنسخ القرآن الكريم؛ سنة خمس وعشرين للهجرة. (2)

يذكر أن الصحابي الذي تنبه إلى الاختلاف في قراءة القرآن الكريم وأبلغ الخليفة عثمان بن عفان بذلك هو: حذيفة بن اليمان طله. ترتيب الآيات والسور:

أجمع العلماء على أن ترتيب الآيات والسور الذي نجده في المصاحف اليوم توقيفي عن الرسول هل عن الله تعالى. (3) إعجاز القرآن الكريم:

معناه لغة: الضعف وعدم القدرة.

واصطلاحاً: إثبات القرآن الكريم ضعف الخلق (عرباً وعجماء) وعدم مقدرتهم

عن الإتيان بمثله. فإعجاز القرآن الكريم هو الدليل القاطع على صدق نبوة محمد
ين

" جزء من حديث أنس بن مالك. أخرجه البخاري في صحيحه (4987).

أي بعد استلام عثمان الخلافة بسنة واحدة تقريباً.

«اخذ إبراهيم الفتياني» محاضرات في علوم القرآن. ص61-56؛ ومباحث في علوم القرآن
ص 47-48

41

صفحة 52

مراحل التحدي في القرآن الكريم:

تحدي القرآن الكريم جميع الناس أن يأتوا بمثله» في أكثر من مرحلة؛ وقد
شمل هذا التحدي الفترتين المكية والمدنية. ويمكن إجمال آيات التحدي في ثلاث
مراحل؛ هي:

1- قوله تعالى: + (وَإِنْ مَكُنْمْ فِيْ يَمَآ تَنَا عَلْ عِبْ كَأَوْأ يُوْرُوْ مِنْ يَمْدِيُوْ .

وَأَدْعُوْا سَهْدَآح مِنْ دُوْنِ أَشْن كُتْسَرَ صَدِيْنَ © « (البقرة: 23).

2- قوله تعالى: أُوْ أَنْرَةِ فَلْأَوْأ صَقْرُ سُوْر مَفْلَه - مُفْتَرِيَات وَآتَطُوْا سَن

استطغشروا ين دروَه إكشُرُ صِيُوْنَ © «4 (هود: 13).

3- قوله تعالى: 2 قُلْ لَنْ جُتْسَمِتَ الْإِنْل وَالْحِنْ عَكَ أَنْ يَنْأ يَمْمَلِ عَدَا الشْيَان لَا

ديصو وَو كَنْت بَنْصُمُّمُ يَنْصُ هِيْمَا © 4 (الإسراء: 88).

والمقصود (بالمثلية) هنا: مثلية في الفصاحة والبلاغة والبيان وترتيب الألفاظ
والكلمات؛ ولا تعني مثلية في-المعاني والأخبار والتشريع والعلوم والوجوه الأخر
من الإعجاز القرآني.

وجوه إعجاز القرآن الكريم:

ذهب أكثر العلماء إلى أن القرآن الكريم معجز من أكثر من وجه؛ وهو القول

الذي نذهب إليه ونرجحه؛ لذا كانت وجوه الإعجاز القرآني كثيرة ومتعددة» ومن
أبرزها:

1- الإعجاز البياني واللغوي:

ويعد هذا الوجه من أعظم وجوه الإعجاز القرآني وأهمها

هذا إلى ١ فهو الذي وقع فيه

التحدي أولاً وآخره وينتظم جميع آيات القرآن الكريم وسوره.

صفحة 53

ونعني بالإعجاز البياني: هو ذلك الإعجاز الذي يقوم على النظم القرآني؛ أي ترتيب الحروف في الكلمة» ثم ترتيب الكلمات في الجملة (الآية)» ثم ترتيب الجملة القرآنية في السورة ترتيباً مقبولاً معقولاً.

2- الإعجاز التشريعي:

ويعني أن القرآن الكريم جاء بتشريعات في جميع مجالات الحياة المختلفة. مثل الأحكام المتعلقة بالعبادات والمعاملات والعقوبات والنظم الإسلامية؛ كالنظام العقدي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي والأسري والحربي؛ وغيره.

فنجد مثلاً آيات تتحدث عن الاقتصاد والمعاملات المدنية مثل قوله تعالى: (لما الشققة أنوككم أبي جم ان لك كنا اندضها واختوضع مفلالكركل مترك (2) « (النساء: 5) ونجد آيات في الأحوال الشخصية مثل قوله تعالى: «! # وَالْوَلَدَتُ يُضَنُّ أَوْلَدَهُنَّ وَكِ لَمِنْ أَرَا أَنْ مِي يَمَاعِ» (البقرة: 233).

ونجد آيات في الجنايات مثل قوله تعالى: 7 وَكَبَاَعَلْتِمَ رِيَا أَنْ أَلْنَفْسَ بِالتَّقِينِ دَأَلْغَتِ يَلْصِي الْقَتِ بِالْأَنْفِ وَالْأَلَانِ بِالْأَلَيْنِ يَلِينِ الْوَحِ مِصَاصُ « (المائدة: 45).

وآيات في المعاهدات: جر © وَإِنْجَتَمِسْلَمْ فَجَمَحُ 1 « (الأنفال: 61).

وفي السياسة: 2 وَأَمْرُهُمْ دَتَم (الشورى: 38).

وهكذا في كل مجال من مجالات الحياة نجد تشريعاً قرآنياً وهذا التشريع قد يكون مفصلاً تفصيلاً دقيقاً وقد يكون تشريعاً عاماً دون تفصيل وإنما ترك فيها وجه

صفحة 54

3- الإعجاز العلمي:
ويتمثل ذلك في أمرين:

الأمسر الأول: حث القرآن الكريم على التفكير والنظر في الكون الأمر الذي يجعل عقل الإنسان يقبل على الاستزادة من العلم.

الأمر الثاني: اشتمال القرآن الكريم على حقائق علمية لم يعرفها محمد 8 ولا قومه؛ وثبتت في هذا العصر وشهد عليها العلم. فلو كان القرآن من عند محمد ل فمن أين جاء بهذه الحقائق العلمية؟

هذا والأمثلة كثيرة على هذه الحقائق العلمية الموجودة في القرآن الكريم؛ ومن ذلك:

أ- يقول تعالى: > وَوَسَّيْنَا الْإِنْنَ يَدِيهِ إِخْسَنَّمَ حَمْلُهُ أَن كَرَّمَ وَوَسَّيْنَا حَبْ لَهُ وَلَهُ مَنْ سَبَرَا « (الأحقاف: 15) » وقوله تعالى: 2 وَفَصَّالُهُ فِي عَامَيْنِ 4 (لقمان: 14) فبينت هاتان الآيتان أن أقل مدة للحمل ستة 0 وهذا ما أثبتته العلم الحديث

ب- يقول تعالى: > ثم توف إل الم و دُحَانْ عَقَالَ لَهَا وَنَارُضْ أُنْيَا طَوَّءَا أَوْ كَرَّمَ انا نينا بين 57) « (فصلت: 11) » وقد دلت هذه الآية الكريمة على أن أصل مادة السماء هي دخان وهذا أيضاً ما أثبتته العلم الحديث.

وقد كان لهذا المظهر من الإعجاز الأثر الكبير في دخول كثير من العلماء في الإسلام ومن الأمثلة على ذلك إعلان أحد القساوسة المنصرين واسمه "إبراهيم خليل أحمد" إسلامه؛ الذي قال عن القرآن العظيم:

"اعتقد يقيناً أني لو كنت إنساناً وجودياً. أي لا يؤمن بوجود خالق لهذا الكون؛ ولا برسالة سماوية؛ وجاء عني نفر من الناس وحدثني بما سبق به القرآن العلم الحديث في كل مناحيه لآمنت برب العزة والجبروت؛ خالق السماوات والأرض).

-54-

صفحة 55

وهذا عالم ألماني يعلن أن سبب إسلامه هو قوله تعالى: « بل كدري عل أن صيرِي بك (5) » (القيامة: 4) ذلك أن الكشف عن أمر بصمات الأنامل لم تعرفه أوروبا فضلاً عن العرب إلا في زماننا هذاء وبالتالي فالقرآن كلام الله لا كلام البشر.()

فالإعجاز العلمي من أفضل وسائل الدعوة الإسلامية؛ كما يعد من أبرز وجوه الإعجاز القرآني في هذا العصر.

4- الإعجاز الغيبي:

وموضوعه: أنباء الغيب والأخبار التي أوردها القرآن الكريم؛ وأنواعه ثلاثة:

أ- غيب الماضي (الإعجاز التاريخي): حيث تحدث القرآن الكريم عن أمور

من غيب الماضي لم يعاصرها الرسول #8هـ ومن أمثلة ذلك: قصص الأنبياء السابقين مع أقوامهم.

ومن ذلك ما أخبر الله به عن لقب (الملك) في قصة يوسف 4261 بينما أخبر عن لقب (فرعون) في زمن موسى الكت وكلاهما كان في مصر.

ب- غيب الحاضر: ومثاله كشف القرآن الكريم عن قصد المنافقين من بناء مسجد الضراء وكشف مؤامرتهم لاغتيال الرسول كل وهو عائد من تبوك.

ج- غيب المستقبل (الأخبار المستقبلية): فقد أخبر القرآن الكريم عن أمور مستقبلية كثيرة» ووقعت فعلاً. ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: «هُوَ أَتَّأَرْسَلْ وَلَهُ بِالْشَيْءِ وَدِينِ أَلْعِي يَظْهَرُهُ عَلِ الزَّنْ حَكْ وَلَ مَكْرَهُ الْفَنَرَكْتِ (5) «4 (التوبة: 33). وقوله تعالى: جَزِ إِنْ تَاحُجُّ تَلَنْ لَذَكَّرَ وَإِنْ تَآكَ لَحَوَطُوتِ (5) « (الحجر: 33). وقوله تعالى: «لَمَدَّ صَدَقَّ» الله وسو ليها لحن لَدَحَنَّ سِيدَ الْحَرَامِ إِنْ مَقَّاهُ هَهُ إِمْنَدَتِ مَدَ زَثُوسَكْخِ مُونِ لَا نَافِ مَالِ مَوْأُ جَمِ بِنِ حُونِ كَيْلَكَ كَيْمًا يَبَا () (الفتح: 27).

0) محمود أحمد الدوسريء عظمة القرآن العظيم»ء ص341: 348.

-66-

صفحة 56

حكم ترجمة القرآن الكريم:

يختلف حكم ترجمة القرآن الكريم باختلاف نوع الترجمة:

أولاً: الترجمة الحرفية للقرآن الكريم (اللفظية): وتعني ترجمة ألفاظ القرآن الكريم ومفرداته وتراكيبه ترجمة طبق الأصل.

هذا النوع من الترجمة غير جائز لأنه غير ممكن» والسبب في ذلك أن اللغات الأخرى -غير العربية- ليس فيها من الألفاظ والضمائر والمفردات ما يقوم مقام الألفاظ العربية» وبالتالي فإن الاختصار على بعض الألفاظ قد يفسد المعنى. ومثال ذلك قوله تعالى: 2 مِّنْ لِّبَاسُكَ وَأَسْمَ يَآئُ لَّهُنَّ 4 (البقرة: 187) فلو ترجمنا هذه الآية ترجمة حرفية لفسد المعنى تماماً.

ثانياً: الترجمة التفسيرية: وهي ترجمة معاني القرآن الكريم؛ من غير تقييد بالألفاظ والمفردات.

هذا النوع من الترجمة جائز لأنها لا تعتبر قرآناً وهي مطلوبة لما فيها من الدعوة إلى الله عز وجل.!!!
واجبنا تجاه القرآن الكريم:

1- تلاوته: فنحن مأمورون بتلاوة القرآن الكريم؛ يقول تعالى: > أَلْ مَا وَضَّ لَكَ مَسْ الْكَ وَ أَمَ الْصَكْزُ 4 (العنكبوت: 45) « وقد وعدنا الله تعالى بالأجر العظيم على التلاوة؛ يقول #ل: 'من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة: والحسنة بعشر أمثالها لا أقول أَلَمْ' حرفه ولكن ألف حرف؛ ولام حرف؛ وميم حرف.' » وقال فلك: 'اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه....

() محمد المجالي؛ المرجع السابق. ص191.
0 أخرجه الترمذي في سننه (2910): وقال عنه: حسن صحيح.
() أخرجه مسلم في صحيحه (804).

ع4

صفحة 57

إن تلاوة القرآن لها أثر كبير في نفس المؤمن بل لقد كانت التلاوة سبباً في دخول كثير من الناس في الإسلام» يقول د. أحمد نسيم سوسة الذي كان يهودياً قبل أن يسلم: 'يرجع ميلي إلى الإسلام حينما شرعت في مطالعة القرآن الكريم للمرة الأولى فولعت به ولعا شديدا... وكنت أطرب لتلاوة آياته".

وتقول الفيلسوفة البريطانية "هوني": 'لن أستطيع مهما حاولت أن أصف الأثر الذي تركه القرآن في قلبي فلم أكد أنتهي من قراءة السورة الثالثة من القرآن وجدتني ساجدة لخالق هذا الكون؛ كانت هذه أول صلاة لي في الإسلام". (1)

2- تدبر القرآن الكريم: فالمقصد من نزول القرآن العمل به والعمل بالقرآن لا بد له من التدبر. ولذلك قال تعالى: جَزَ كُنْبَ أَرْتُهُ إِيَّكَ مَرَكْ يَنُوا عَلِي وَلَتَذَكَّرُ الْأَبَ (3) 4 (ص: 29) « ويقول تعالى: » أ يَذَبُونَ نُوكن يَن عَنَدَغَر لَهَ جَدُوا فِيهِ كَد كِيرَا 4 (النساء: 82).

3- العمل بالقرآن الكريم: فهذا هو المقصد من نزول القرآن كما قلنا لقد مر معنا أن من مظاهر إعجاز القرآن الإعجاز التشريعي فهذه التشريعات التي اشتمل

عليها القرآن إنما أنزلت علينا لنعمل بها .

4- حفظ القرآن الكريم: فالواجب علينا أن نحفظ ما نستطيع من كتاب الى ويكفي لمن حفظ القرآن أنه يقال له يوم القيامة كما قال النبي وُه في الحديث؛ لصاحب القرآن: "اقرأ ورق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها". (2)

(') محمود أحمد الدوسريء المرجع السابق.ء ص344: 346.
أخرجه الترمذي في سننه (2914) وقال عنه: حسن صحيح؛ وأبو داود في سننه (1464) واللفظ للترمذي.

-57-

صفحة 58

المطلب الثاني السنة النبوية الشريفة

تعد السنة النبوية المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي؛ وكذلك المصدر الثاني من مصادر الثقافة الإسلامية .

وقد عبّر القرآن الكريم عن السنة النبوية ب(الحكمة). قال تعالى:
(ولاشركت مال فى بيط ين "يت الله وَلَفَسْكُمْدِ إن اله كت لين
حَبِيَا () 4 (الأحزاب: 34). وقال تعالى: > هر الى بست فى الأيتعن مشولا من يضارا
ل نووكي ويهمهم لكب وَلِلْكَه ونون قبل كنى صَكْلِيمِين(20) « (الجمعة: 2)
تعريفها:

لغة: مصدر (سَنَ) وتدور معاني هذه المادة اللغوية حول: الصقلء؛ والعلاج؛
والتمهيد والبيان؛ والطريق القويم؛ والجريان والاطراد.(')

ونحن لا نذكر هذ المعاني اللغوية للترف العلميء وإنما نذكرها للعلاقة
الوطيدة بينها وبين المعنى الاصطلاحيء فالسنة النبوية صقلت الأمة الإسلامية؛
وأحسن تربيتهاء وهى الطريق القويم الذى وضعه رسول الله وَل لهذه الأمة؛
وجرت أحكامها واطردت فى جميع ميادين الحياة.

اصطلاحاً: هى ما صدر عن النبي ول غير القرآن الكريم من قول؛ أو فعل؛
أو تقريرء وهذا عند الأصوليين.(2)

وعند الفقهاء؛ فالسنة هي: الصفة الشرعية للفعل» فيقال هذا الفعل سنّة بمعنى أنه ليس فرضاً ولا واجباً وبالتالي يُثاب فاعله ولا يُعاقب تاركه.

(0 مجمع اللغة العربية» المصدر السابق؛ مادة (سن).

(2 عبد الكريم زيدان» الوجيز في أصول الفقه. ص 16]1, وإبراهيم سلقيني» المي الفقه الإسلامي» ص 72.

-58-

صفحة 59

أما عند أهل الحديث؛ فالسنة هي: ما صدر عن الرسول # من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية» من مبدأ بعثته إلى وفاته. (10)

الفرق بين السنة والحديث:

الحديث أعم من السنة من حيث المفهوم؛ فهو يتناول: (

1- كل ما صدر عن النبي © ولو كان منسوخاً.

2- صفات النبي #ه الخلقية من حيث لونه وجسمه وشعره وطوله.

3- صفاته وك الجبلية من حيث صحته ومرضه وطعامه وشرابه.

4- أخبار ما قبل البعثة.

وعليه نستطيع القول بأن كل سنة حديث؛ وليس كل حديث سنة. أمثلة على أقسام السنة النبوية:

1 - السنة القولية: : هي ما نطق به الرسول #ل مما يتعلق بالتشريع؛ وهي كثيرة جداً. ومن الأمثلة على ذلك. قوله #يك 'من دل على خير فله مثل أجر فاعله" (3)

2- السنة الفعلية: هي أفعاله يلك الخاصة بالتشريع» مثل وضوئه وصلاته وجه. ومن الأمثلة على ذلك؛ قوله 8ك 'صلوا كما رأيتموني أصلي" (49). وقوله 'لتأخذوا مناسككم فإنني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه'. (!؟)

3- السنة التقريرية: هي سكوت الرسول وق على قول أو فعل صدر في حضرته؛ أو في غيبته وعلم به. ومن الأمثلة على ذلك: إياحة أكل الضب: فقد سئل

(') همام سعيد؛ التمهيد في علوم الحديث ص11.
المرجع نفسه ص11-12.

0" أخرجه مسلم في صحيحه (1893).

أخرجه البخاري في صحيحه (631 «6008 :7246).
') أخرجه مسلم في صحيحه (1297).

5-7

صفحة 60

النبي 8ك عن الضب؟ فقال: 'لست بأكله ولا محرمه'. !! وحديث معاذ بن جبل حينما بعثه الرسول #8 إلى اليمن.

أقسام السنة من حيث السند (الرواة): (2)
تقسم السنة عند جمهور العلماء من حيث السند إلى قسمين: متواترة» وآحاد.

1- السنة المتواترة:

وهي ما رواها عن الرسول 4ل في العصور الثلاثة (عصر الصحابة؛
والتابعين» وتابعي التابعين) جمع كبير يستحيل عادة تواطؤهم على الكذب من بد
السند إلى منتهاه.

وتقسم السنة المتواترة إلى قسمين:

أ- المتواتر اللفظي: وهو الحديث الذي اتفق رواته على لفظه؛ فيرويه كل
واحد بنفس اللفظ الذي رواه به غيره.

مثال ذلك: قوله 8: 'من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار

فقد روى هذا الحديث أكثر من سبعين صحابياً. وهذه الأحاديث المتواترة

لفظياً قليلة نسبياً فهي عشرات الأحاديث فقط.
ب- المتواتر المعنوي: وهو الحديث الذي اتفق رواته على المعنى دون

اللفظ.
ومثال ذلك: أحاديث عذاب القبر ونعيمه؛ فقد رواها حوالي أربعين صحابياً؛
ومن هذه الأحاديث:

- (أخرج مسلم في صحيحه (1943). والترمذي في سننه (1790) وقال عنه: حسن صحيح
(2) عبد الكريم زيدان؛ المرجع السابق؛ ص171-168 « وإبراهيم سلقيني المرجع الـ
-77، شرف القضاة؛ المنهاج الحديث في علوم الحديث» ص106-104.
(3) أخرجه البخاري في صحيحه (6197)؛ ومسلم في صحيحه (3004).

-60-

صفحة 61

عن ابن عباس قال: مر النبي وو بقبرين فقال: "إنهما ليعذبان وما يعذبان في
كبيرء أما أحدهما فكان لا يستتر من البول؛ وأما الآخر فكان يمشي في النميمة".

والأحاديث المتواترة بالمعنى أكثر من المتواترة باللفظ فهي تبلغ مئات
الأحاديث؛ ومع ذلك فالمتواتر بقسميه لا يكاد يتعدى 901 من مجموع الأحاديث
النبوية الشريفة.

هذا وتجدر الإشارة إلى أن أحاديث الوضوء والصلاة والصوم والحج والزكاة
هي أحاديث متواترة.
حكم السنة المتواترة:

ذهب جمهور العلماء إلى أن السنة المتواترة بنوعها -اللفظي والمعنوي-
تفيد اليقين» وهي قطعية الثبوت» ويجب الاعتقاد والعمل بها في العقائد والأحكام
ويكفر منكرها لأن المنكر لها يُعد كمن سمعها من النبي 6 فأنكرها فهو مكذب
له وة.

2- سنة الآحاد:

وتقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ- السنة المشهورة: وهي ما رواها جماعة في كل حلقات السند ولم تبلغ حد التواتر؛ وأقل الجماعة ثلاثة» ولا يوجد حد معين للتواتر.

والحديث المشهور قد يكون صحيحاً أو حسناً أو ضعيفاً وذلك حسب توفر شروط الصحة.

مثال المشهور الصحيح: قوله قُلْتُ: "إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل". (20)

ومثال المشهور الحسن: قوله: "لا ضرر ولا إضرار". ()

(') أخرجه البخاري في صحيحه (2218).

© أشرحه البخاري في صحيحه (877) (894)؛ ومسلم في صحيحه (844)؛ والنسائي في الصغرى (1377: 1408).

() أخرجه ابن ماجه في سننه (2341).

-61-

صفحة 62

ومثال المشهور الضعيف: 'صوموا تصحوا' (!).

ب- العزيز: وهو الذي في أقل حلقاته راويان على الأقل.

مثال ذلك: 'لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين'. (2)

والعزيز قد يكون صحيحاً أو حسناً أو ضعيفاً.

ج- الغريب: وهو الذي في إحدى حلقاته راو واحد وهذا بغض النظر عن عدد الرواة في بقية الحلقات.

مثال ذلك: الحديث الذي لم يروه عن النبي 8 إلا عمر بن الخطاب

"إنما الأعمال بالنيات". (©)

والحديث الغريب قد يكون صحيحاً أو حسناً أو ضعيفاً وذلك بحسب توفر شروط الصحة أو عدم توفرها.
حكم حديث الآحاد الصحيح:

ذهب جمهور العلماء إلى أنه يجب العمل بالحديث الآحاد إذا كان صحيحاً أو حسناً في العقيدة وغيرها وإن كان يفيد العلم الظني» ومنكر حديث الآحاد الصحيح أو الحسن آثم وليس بكافر.)

(١) رواه الطبراني في الأوسط؛ وأبو نعيم في الطب النبوي من حديث أبي هريرة بن (زين الدين العراقي المغني) 85/3).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه (44) «والنسائي في سننه الصغرى (5016)» وابن ماجه (67).

() أخرجه البخاري في صحيحه (1)؛ والنسائي في سننه الصغرى (75: 3825)؛ وابن سننه (4427)؛ وبلطف (بالنية) عند مسلم في صحيحه (1907)؛ والترمذي في سننه وأبو داود في سننه (2201).

« شرف القضاة المرجع السابق» ص 107-113.

--62

صفحة 63

حكم الحديث الضعيف:

الراجح والله أعلم أن الحديث الضعيف مردود ولا يثبت به شيء من الدين لأنه لم يثبت عن النبي ولكل ولكن يستحب العمل به في فضائل الأعمال؛ أي في المستحبات والمكروهات ولا يقبل في العقائد ولا الواجبات ولا المحرمات. ويشترط للعمل به:

أ- أن يكون ضعفه يسيراً.

ب- أن يكون مندرجاً تحت أصل عام؛ أي ليس شيئاً جديداً تماماً. (!)

الحديث القدسي هو: الحديث الذي أضيف إلى الله تعالى؛ وسمي بذلك لإضافته إلى الذات القدسية» فهو من كلام الله. أي أن لفظه ومعناه منزل من عند الله ذلك أننا نجد في كل حديث قدسي عبارة قال الله تعالى أو 'يرويه عن ربه ولكن ما الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي؟

الجدول التالي يبين الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي والحديث

النبوي: 2)

القرآن الكريم الحديث القدسي الحديث النبوي

لفظه ومعناه من الله تعالى | لفظه ومعناه من الله تعالى | معناه من الله تعالى
ولفظه من الرسول

متعبد بتلاوته غير متعبد بتلاوته غير متعبد بتلاوته
متواتر كله غير متواتر كله غير متواتر كله

(') شرف القضاة؛ المرجع السابق ص114.

(شرف القضاة؛ المرجع السابق ص118-119.

5-0-7

صفحة 64

كتابة السئة وتدوينها وتصنيفها:

كتابة السنة النبوية الشريفة:

في البداية نهى النبي و عامة الصحابة عن كتابة السئة. فقال "ومن كتب عني غير القرآن فليمحه". ()

وأذن لبعض الصحابة مثل عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: كنت أكتب كل

شيء أسمع من رسول الله #8 أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا: أكتب كل شيء

تسمعه ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضاء فأمسكت عن الكتاب» فذكرت

ذلك إلى رسول الله فقلق فأوماً باصبعه إلى فيه فقال: "اكتب فوالذي نفسي بيده يخرج منه إلا الحق". ()

والسبب في ذلك والله أعلم:

1- خوفاً من أن يضيع شيء من القرآن وذلك لقلّة عدد الكتبة فخصص عبد

الله بن عمر بن العاص لكتابة الحديث.

- 2- خوفاً من أن ينشغل الصحابة بكتابة السنّة عن كتابة القرآن وهو أولى.
- 3- خوفاً من أن يختلط القرآن بغيره وذلك لقلة وسائل الكتابة آنذاك. فلما أمّن ذلك من عبد الله أذن له الرسول بالكتابة.

شم أذن النبي ﷺ لمن شاء أن يكتب بل أمر أحياناً بالكتابة « مثل كتابة معاهداته الكك. وهكذا لم يتوف الرسول إلا وكانت السنة قد كُتِب كثير منها وازدادت الكتابة في عهد الصحابة؛ فقد ثبت أنه كان لعشرات الصحابة عدد من الصحف مثل (الصحيفة الصادقة) التي جمعها عبد الله بن عمرو بن العاص و(الصحيفة الصحيحة) التي جمعها الصحابي الجليل أبو هريرة؛ وكذلك صحيفة جمعها سعد بن عبادة الأنصاري.

(') أخرجه مسلم في صحيحه (3004).

(أخرجه ابو داود في سننه (3646)؛ والإمام أحمد في مسنده (6510) » والدارمي ف (25/1)؛ والحاكم في مستدركه (104/1).

-64-

صفحة 65

اتويوت معناه: جمع الأحاديث في دواوين وهي كتب كثيرة نسبياً ولكنها غير مرتبة.

بدأ تدوين السنة النبوية في القرن الهجري الأول بجهود فردية ثم تم الانتقال إلى الأمر الرسمي بالكتابة الذي أصدره عمر بن عبد العزيز للإمام الزهري والذي بدأ في نهاية القرن الهجري الأول. تصنيف السنة النبوية الشريفة:

وهو ترتيب الأحاديث على الموضوعات أو الصحابة» ومن هذه المصنفات: موطأ الإمام مالك ومسنّد الإمام أحمد؛ والكتب الستة وهي (صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن الترمذي وسنن النسائي وسنن أبو داود وسنن ابن ماجة). مكانة السنة النبوية من القرآن الكريم:

لا تقل السنة النبوية مكانة عن القرآن الكريم؛ فهما من حيث التشريع في مرتبة واحدة؛ وأما من حيث الذكر والشرف والثبوت؛ فالسنة النبوية تأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم.

والحديث عن السنة النبوية باعتبارها مصدراً من مصادر الثقافة الإسلامية
يكن في بيان مكانة السنة النبوية ووظيفتها من القرآن الكريم» وهي على النحو
التالي: (1)

1- السنة مؤكدة لما جاء في القرآن الكريم: كالأمر بالصلاة والصوم
والزكاة والحج... الخ. فهذه الأمور ثابتة بالقرآن الكريم؛ وجاءت السنة ل
فأكدت ذلك.

00 إبراهيم سلقيني؛ المرجع السابق» ص 86-83.

-65-

صفحة 66

ومثاله: قوله فلك 'إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته'!. يوافق
تعالى: ل يَكْذِبَ لَنْذُ بِيكَ 1 لَمَدَ الشَّرِّ و عليه بن أده د حَدَبُ (5) 4 (هود:
02).

2- السنة ناسخة لحكم ثبت بالقرآن الكريم: ومثاله: قوله 2 "لا وصية
لوارث"2. نسخ قوله تعالى: > (كُيِّبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَصَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ رَرَكَ حَزَا
لَوْسِيَّةُ وَدِينَ وَآلْذِينَ « (البقرة: 180).

3- السنة مثبتة لحكم سكت عنه القرآن الكريم؛ فيكون الحكم ثابتاً بالسنة:

ومثاله: تحريم لبس الحرير والذهب على الرجال؛ وتحريم أكل الحيوانات
والطيور الجارحة؛ وتحريم الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها» ووجوب
صدقة الفطر ورجم الزاني المحصن.

4- السنة مبينة لما جاء في القرآن الكريم: فهي مفسرة لنصوص مجملة؛
كالحديث الواردة في بيان أوقات الصلاة وعدد ركعاتها وأموال الزكاة وأنصبتها

5- السنة مخصصة لعموم القرآن الكريم؛ ومقيّدة لمطلقه:

ومثال تخصيص العام: استثناء ميتة البحر من عموم قوله تعالى « حُرِّمَتْ
نِجَحَ لَمَتَّةُ 4 (المائدة: 3): فقد سئل النبي هل عن البحر فقال: "هو الطهور ماؤه
الحل ميتته". (3)

ومثال تقييد المطلق؟ تقييد السنة قطع يد السارق من الرسغ للخروج من العموم الوارد في قوله تعالى: > وَلَكَارُقُ وَأَلَاكَةُ تَفْطُ مُمَا لَيَّيْهَمَا « (المائدة: 8).

(0) أخرجه البخاري في صحيحه (4686).

أخرجه الترمذي في سننه (2120: 2121) وقال عنه: حسن صحيح؛ والنسائي في سننه

الصغرى (3671: 3672)؛ وابن ماجه في سننه (2713)؛ وأبو داود في سننه (2870).

أخرجه الترمذي في سننه (69) وقال عنه: حسن صحيح؛ والنسائي في سننه الصغرى

(333)؛ وابن ماجه في سننه (387)؛ وأبو داود في سننه (83).

-66-

صفحة 67

المبحث الثاني

روافد الثقافة الإسلامية

المطلب الأول

الفكر والتراث الإسلامي

الفكر الإسلامي:

تقدم في المبحث الثالث من الفصل الأول تعريف الفكر لغة واصطلاحاً

ومفهوم الفكر الإسلامي والعلاقة بينه وبين الثقافة الإسلامية» بما يغني الحديث هنا.

التراث الإسلامي:

تعريفه: هو كل ما تركه السلف للخلفاء أو الأجيال السابقة للأجيال

الحاضرة؛ في العلوم الشرعية؛ واللغوية؛ والأخلاقية؛ والتاريخية؛ والمنزلية؛

والعمرانية؛ والأثرية، والإنسانية من عادات وتقاليد وفنون وأساليب الحياة الم

الفرق بين الوحي والتراث:

1- الوحي كلام الله تعالى؛ والتراث كلام الإنسان وعمله.

2- الوحي معصوم عن الخطأ؛ لأنه كلام رب العالمين» أما التراث فليس

معصوماً فهو خاضع للصواب والخطأ والنفع والضرر.

3- الوحي يأخذ صفة القداسة والخلود والإعجاز أما التراث فليس كذلك.

مواد الوحي والتراث:

1- القرآن الكريم والسنة النبوية وحيء أما نقلهما إلى شريط التسجيل أو الحاسوب؛ وكذلك (جميع مظاهر تطور وتحسين القرآن الكريم من حيث

-67-

صفحة 68

الإعجام والشكل والتجزئة وإسهام الخطاطين وظهور المطابع (الحديثة)!. يعد كل ذلك من التراث؛ لأنه من عمل الإنسان.

2- اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم (لغة التنزيل) تعد من الوحي، أما اللغة العربية التالية للنص اللغوي الذي نزل به القرآن الكريم فتعد من التراث؛ لأنه دخل عليها عمل الإنسان الذي تمثل بالشكل والإعجام. وأصبح القرآن الكريم يقرأ منقوطة ومشكولاً بعد أن كان يقرأ بدون نقط ولاشكل بضعاً وأربعين سنة حتى خلافة عبد الملك بن مروان سنة

خمس وستين للهجرة. ©)

المطلب الثاني

الفقه الإسلامي ومذاهبه

تعريف الفقه والمذهب لغة واصطلاحاً:

أولاً- الفقه:

الفقه لغة: الفهم والعلم. يُقال: فقه الشيء أي فهمه وعلمه. (37)

الفقه اصطلاحاً: هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها (التفصيلية).

ثانياً- المذهب:

المذهب لغة: هو الطريق.

(') خالد إبراهيم الفتيا ني؛ الجنان في علوم القرآن الكريم» ص58.

0 ابن منظور المصدر السابق؛ الجوهرى». الصحاح في اللغة. مادة (فقه).
(9) الآمديء الأحكام في أصول الأحكام؛ (6/1).

-68-

صفحة 69

المذهب اصطلاحاً: هو المنهج الفقهي الذي سار عليه فقيه مجتهد اختص به بين الفقهاء» وبه جملة من الأحكام اختارها في مجال علم الفروع بناءً على أصول خاصة به في كيفية استنباط الأحكام.

وحتى لا تختلط المصطلحات؛ لا بد من الإشارة إلى أن هناك فرقاً بين الفقه والشريعة. يتجلى في أمرين:

الأمر الأول: الشريعة مبنية على الوحي الخالص التي لا مجال لرأي الإنسان فيها. في حين أن الفقه ليس كله كذلك» فبعض مسائل الفقه خاضعة لاجتهاد الفقهاء

الأمر الثاني: الشريعة أشمل من الفقه» فهي تشمل كل الأحكام التي يحتاجها الناس في حياتهم. أما الفقه فإنه خاص بالأحكام العملية؛ كالعبادات والمعاملات والأحوال الشخصية. (1)

خصائص الفقه الإسلامى:

لما كان الفقه الإسلامى يمثل الشكل القانونى للأحكام الشرعية فى مجالات معينة» فإن البعض يقارنه بالأنظمة الوضعية. وهذه المقارنة تحتاج إلى انتباه؛ هناك ميزات وخصائص للفقه الإسلامى لا توجد فى الأنظمة الوضعية. وهذه الخصائص هي:

الأولى: إن مصدر الفقه الإسلامى هو الشريعة الإسلامية وليس العقل البشرى.

الثانية: الشمول فالفقه الإسلامى شامل لكل ما يحتاجه الناس فى حياتهم.

الثالثة: الثبات؛ ويكمن فى أسسه العامة والخطوط العريضة.

الرابعة: المرونة؛ حيث أنه يحمل فى أدلته إمكانية إعطاء الأحكام الشرعية فى المسائل التى تستمد فى حياة الناس بسبب تغير الأزمان وتطور

(' عبد الكريم زيدان؛ المصدر السابق»؛ ص56.

صفحة 70

الحياة البشرية. وهذه المرونة تعتمد على إبداعات المجتهدين في استنباط الأحكام لهذه المسائل.⁽¹⁾

الخامسة: القدرة على تحقيق مصالح العباد؛ لأن الفقه يعتمد على الوحي الإلهي الذي أنزله الله العليم بما ينفع عباده.

السادسة: إن الجزاء فيه له بعدان دنيوي وآخرى لتستقيم حياة الناس وتصلح أحوالهم. وينجوا في الآخرة من عقاب الله.

تطور علم الفقه:

الفقه الإسلامي بصورته الحالية ونظمه الذي نراه عليه الآن» كعلم له مؤلفاته الكثيرة وأساسه وأصوله المنضبطة. ليس وليد لحظة. بل هو ثمرة جهود كبيرة ومراحل عدة وأدوار مر بها ومراحل تنقل بينها. وهو يرتقي ويتألق حتى أصبح كما نراه. وهذه المراحل هي: ©

المرحلة الأولى: عصر النبوة

وتبدأ من عهد النبي © وحتى وفاته #ه وكانت حلقة تطبيق الفقه ومرجعيته في هذه المرحلة بيد النبي ك. وقد طبق الفقه ومورست أحكامه في حياة الناس في أبهى صورته.

المرحلة الثانية: عصر الخلفاء الراشدين

وتبدأ من بداية عهد الصديق وحتى منتصف القرن الأول» وقد امتاز الفقه في هذه المرحلة بسرعة الاتساع بسبب انتشار الفتوحات وظهور الكثير من الأمور

(') عمر الأشقر المدخل إلى الشريعة والفقه الإسلامي» ص42.

(2) مصطفى الزرقاء المدخل الفقهي العام ص153-150» عبد الكريم زيدان» المصدر ص115.

صفحة 71

المستجدة في البلاد المفتوحة» والتي لا بد من بيان حكم الشرع فيها الأمر الذي دفع فقهاء الصحابة إلى الاجتهاد فيها على ضوء قواعد الشريعة وأسسها العامة.

المرحلة الثالثة: من منتصف القرن الأول إلى أوائل القرن الثاني

في هذه المرحلة ونتيجة لتأثير كبار الصحابة ودورهم التعليمي في تعليم أهل البلاد التي دخلوها تأسيس عهد جديد للفقہ الإسلامي؛ فلقد ظهر بعض العلماء من التابعين» ونشأ فيها بدليات تكون المدارس الفقهية؛ وأشهرها مدرسة أهل الحديث الحجازية وتمتاز بكثرة اعتمادها على رواية الحديث بسبب قربها من منبع الحديث النبوي الشريف وقلة اعتمادها على الاجتهاد لقلة الحاجة لذلك.

والمدرسة الثانية مدرسة أهل الرأي في العراق؛ وتمتاز بكثرة اعتمادها على الاجتهاد ولضعف انتشار الحديث النبوي هناك.

المرحلة الرابعة: من بداية القرن الثاني وحتى منتصف القرن الرابع هنا توسعت دائرة الفقہ الإسلامي وارتبطت بتفاصيل حياة الناس» وظهرت المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة. وبدأ فيها تدوين الفقہ الإسلامي.

المرحلة الخامسة: من منتصف القرن الرابع إلى منتصف القرن السابع

ويمكن وصف هذه المرحلة بأنها بدايات ركود حركة الاجتهاد وظهور المذهبية والتعصب للمذهب والاكتماء بالتقليد.

ولكن مع ذلك هناك إنجازات مهمة منها: الاهتمام الكبير بعلم أصول الفقہ حيث انشغل علماء كل مذهب بتأصيل مذهبهم؛ والعناية بكتب الفتاوى لحاجة الناس إليها. وظهر علم المناظرة بين العلماء مما أثرى بعض الجوانب العلمية والثقافية حياة المسلمين.

-71-

صفحة 72

المرحلة السادسة: من نهايات القرن السابع إلى بدايات القرن الثامن عشر

في هذه المرحلة تركزت الجهود أكثر وكاد الاجتهاد يختفي تماما. إلا من بعض العلماء الفحول وإن كانوا قلة» وتوسعت دائرة التقليد؛ وعلى صعيد التأليف والتدوين اشتهرت هذه الفترة بطريقة المتون المختصرة في التأليف الفقهية؛ وكتب الفتاوى وبدايات حركة تقنين الفقہ.

المرحلة السابعة: من بدايات القرن الثامن عشر إلى وقتنا الحالي

وهذه المرحلة كسابقتها في ركود الاجتهاد واتساع دائرة التقليد. إلا أن ما

يميز هذه المرحلة الاهتمام بتقنين الذنه كما حصل في مجلة الأحكام العدلية , والتأليف في النظريات الفقهية الناطمة للأحكام؛ وظهور المعاجم المفهرسة لكل العلوم ليسهل على المسلم الحصول على المعلومة؛ كما هو الحال في تسخير علم الحاسوب والبرمجيات بحيث أصبح الوصول إلى النص أو الحكم الشرعي ومعرفة أقوال العلماء فيه لا يستغرق سوى ثوان معدودة.

بعد هذا السرد التاريخي لتطور أدوار الفقه سنطلع على أهم المذاهب الفقهية.
المذاهب الفقهية:
أولاً- المذهب الحنفي:

وسمي بذلك نسبة إلى إمام المذهب الأول أبو حنيفة رحمه الله-.
تعريف بإمام المذهب: (0)

هو النعمان بن ثابت 80-150هـ.

لل الذهبي؛ سير أعلام النبلاء (390/6): وتذكره
سرد الكنى (76/1) لين خلكان.
الله

الحفاظ (166/1). ابن الجارود المنتقى في
وفيات الأعيان (25/1)؛ ابن عماد الحنبلي؛ شذرات الذهب

صفحة 73

ولد في الكوفة بالعراق. وهو من أتباع التابعين. أدرك بعض صغار
الصحابة؛ ولكنه لم يلتق بهم. كان موسوعياً مبرزاً في العلوم كلها توفي في بغداد
ودفن فيها.

تلقى العلم على يد كبار العلماء كإبراهيم النخعي وحماد بن سليمان وجعفر
الصادق.
تلاميذه: (1)

كان لأبي حنيفة العديد من التلاميذ في حلقاته العلمية المتعددة. ومن أشهرهم:
القاضي أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني وزفر والحسن بن زياد وابنه حماد.

اشتهر بعمله تاجراً وضرب أروع الأمثلة لصورة التاجر العالم المؤمن
الصادق. وكان ينفق أكثر أمواله على طلبه العلم.

أصول المذهب الحنفي: 2)

الأصول التي اعتمد عليها الحنفية في استنباط الأحكام الشرعية هي: الكتاب «السنة» أقوال الصحابة «الإجماع؛ القياس» والاستحسان. كلمة لا بد منها:

مما اشتهر عند الناس أن مذهب الحنفية يكثر من الاعتماد على الرأي وليس الرواية» وهذا جعل البعض يتهم أبا حنيفة إما بقله درايته بعلم الحديث والرواية أنه يقدم الرأي والعقل على الحديث. وكلا الاتهامين باطل؛ فإن لأبي حنيفة باعاً طويلاً في علم الحديث. وهو محدث» وروى عنه تلاميذه مسنداً خاصاً به.

وكان من أكثر العلماء تشدداً في شروط قبول صحة الحديث حتى من البخاري لحرمته على التنسب في نسبة الأحاديث إلى الرسول ويك.

(' محمد أبو زهرة؛ أبو حنيفة ص191» عبد الكريم عثمان؛ معالم الثقافة الإسلام © محمد أبو زهرة؛ المصدر السابق» ص235.

صفحة 74

وهو أيضاً على درجة عالية من الورع والتقوى بشهادة كل من عاصره ورعاً يمنعه من تقديم رأيه على حديث رسول الله لك.

ولكن الأمر في حقيقته أن نسبه إلى العراق التي عاش فيها أبو حنيفة» والفترم التي عاصرها اشتهرت بكثرة وضع الأحاديث كذباً من قبل بعض الفرق التي تزامن ظهورها مع عصر أبي حنيفة. الأمر الذي جعل أبا حنيفة يتشدد كثيراً في شروط قبول الحديث والاعتماد عليه في استنباط الأحكام منه حتى لا ينسب إلى النبي الل ما لم يقله. وهذا قمة الورع منه -رحمه الله-. فلئن ينسب الاجتهاد إلى نفسه -أخطأ فيه- أهون عليه من أن يتساهل في قبول أي حديث وينسبه إلى النبي فك.

ومن شروط أبي حنيفة في قبول الحديث:

1- أن لا يخالف عمل الراوي روايته. وإلا فيعتمد على عمله لا روايته.

2- أن لا يكون مما تعم به البلوى.

3- أن يكون الراوي فقيهاً.

4- أن لا يخالف القياس.

هذه الشروط إذا توفرت في خبر الواحد قبل واعتمد عليه في استنباط الأحكام الشرعية. (1!)

وقد انتشر المذهب الحنفي انتشاراً واسعاً لأسباب كثيرة أهمها: كثرة تلاميذه وانتشارهم في الآفاق» وكونه كان في بغداد عاصمة الخلافة التي كانت محط رجال طلاب العلم من كل بقاع الدولة الإسلامية. إضافة إلى كون تلميذه أبو يوسف تولى منصب قاضي القضاة؛ مما جعل هذا المذهب له صلة مباشرة بحياة الناس وأقضيته. ولذلك اعتمدت مجلة الأحكام العدلية في معظمها على الفقه الحنفي.

(') عمر الأشقر المرجع السابق ص221-222.

صفحة 75

ثانياً- المذهب المالكي:

سمي بذلك نسبة إلى إمام هذا المذهب الإمام مالك.

تعريف بإمام المذهب: (1)

هو أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي ولد سنة 93هـ ومات سنة 179

في المدينة المنورة.

تلقى العلم فيها على أيدي أشهر علمائها صنف كتاباً جمع فيه بين الحديث والفقه سمّاه الموطأ.

تلاميذه: (2)

للإمام مالك تلاميذ كثر من أشهرهم: عبد الرحمن بن القاسم؛ عبد الله بن

وهب.

أصول مذهب المالكية:

اعتمد المالكية في استنباطهم للأحكام الفقهية على الأصول التالية:

الكتاب سنة؛ إجماع أهل المدينة أو ما يعبر عنه عند المالكية بعمل أهل

المدينة، القياس» قول الصحابي المصالح المرسل» العرف العادات» سد الذرائع

الاستحسان؛ الاستصحاب. (3)

وأكثر انتشار هذا المذهب في عصرنا في بلاد المغرب العربي.

ومن أهم كتب الفقه المالكي إضافة إلى الموطأ المدونة الكبرى فهي من أهم مراجعهم الفقهية. وقام بشرحها هي والموطأ الكثير من فقهاء المالكية.

(٥) بحمة أبو زهرة؛ مالك - حياته وعصره؛ ص21.

(٥) ابن فرحون؛ الديباج المذهب (1/132) «الذهبي» سير أعلام النبلاء» (8/534).

(٥) الشافعي الموافقات؛ وهبة الزحيلي؛ الوسيط في أصول الفقه.

-75-

صفحة 76

ثالثاً - المذهب الشافعي:

سمي بذلك نسبة إلى إمام المذهب وشيخته الشافعي.

تعريف بإمام المذهب: ()

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن شافع. وهو هاشمي النسب يلتقي نسبه بالنبي ﷺ.

ولد بغزة في فلسطين يوم وفاة أبي حنيفة» ولذلك قيل فيما بعد مات إمام وولد إمام.

تلقى العلم صغيراً في غزة ثم رحل إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة. وهناك تتلمذ على الإمام مالك» ورحل إلى مصر والعراق. وهذا الترحال الكثير في طلب العلم زاد علمه ثراء.

للإمام الشافعي مؤلفات عدة أشهرها:

كتاب (الأم) في الفقه الذي يعد من أهم مراجع الشافعية الفقهية» وله أيضاً كتاب (الرسالة) في علم أصول الفقه. ولعل هذا الكتاب أول ما صنف في هذا العلم أصول مذهب:

الكتاب؛ السنة؛ الإجماع؛ القياس.

ويعد كثير من العلماء مذهب الشافعية المذهب الأكثر اعتماداً على السنة؛

وربما يعود ذلك إلى أن كثيراً من علماء المذهب كانوا محدثين. ومن هنا جاءت المقولة المشهورة في وصف هذا المذهب بأنه مذهب أصل الحديث.

(!) مصطفى السباعي السنة ومكانتها في التشريع ص439؛ عمر الأشقر المرجع ص35-32.

صفحة 77

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشافعية لا يعدون الاستحسان أصلاً في استنباط الأحكام الشرعية ويرفضون الاحتجاج به. فقد روي عن الشافعي أنه قال: 'من

استحسن فقد شرةع". (!1)

رابعاً- المذهب الحنبلي:

سمي بذلك نسبة إلى إمام المذهب أحمد بن حنبل. تعريف بإمام المذهب:

هو أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني؛ ولد في بغداد وبها تلقى علومه صغيراً وكثر اهتمامه بحديث رسول الله وسنته؛ وكان يمتاز بذاكرة عجيبة.

ومن أشهر شيوخه: القاضي أبو يوسف الحنفي والإمام الشافعي وغيرهما .

يعد الإمام أحمد بن حنبل في عصره بإمام أهل العلم في الحديث فهو محدث قبل أن يكون فقيهاً.

ومن أشهر مؤلفاته في السنة: المسند جمع فيه آلاف الأحاديث حسب الصحابي الذي روى الحديث» فوضع الأحاديث التي رواها كل صحابي في باب واحد وسماه مسند كذا باسم ذلك الصحابي وفيه آلاف الأحاديث.

أما في الفقه: فقد صنف تلاميذه العديد من كتب الفقه التي جمعوا فيها آراء الإمام أحمد. أصول مذهبه:

الكتاب السنة» ولو كانت آحاداً فتوى الصحابي الذي لا يعرف له مخالف» فإن اختلفت أقوال الصحابة تخير منها أقر بها إلى الكتاب والسنة. ثم بعد ذلك بالقياس. (2)

(١) عبد الوهاب خلافة علم أصول الفقه» ص83.
(2) عبد الوهاب خلافة؛ المصدر السابق؛ ص96-94.

-771-

صفحة 78

لم ينقل عن الإمام أحمد انشغاله بتدوين الكتب بل كان يلقي علومه تلاميذه مشافهة، ثم تولى بعد ذلك تلاميذه التأليف والتدوين والتصنيف. ويعور الفضل في تدوين علوم الإمام أحمد وآرائه واجتهاداته إلى تلميذه أبي بكر الخلا المطلب الثالث اللغة العربية

تعد اللغة وسيلة التخاطب بين الناس» وقد بعث الله عز وجل كل رسول بلسان قومه» قال تعالى: > وَمَا نَا يَن رَّسُولٍ إِلَّا يَسَان مَد يَشْت طَخِي (إبراهيم: 4) وسيدنا محمد ولك وإن كان بعث للناس كافة» فإنه أول ما بُعث في قريش» وقد كانت لغة قريش اللغة العربية» فكانت بالتالي لغة التشريع ولغة التخاطب» يقول تعالى: 2 إِبَّآرَلَهُمَ عَرِيَاَلَمَلُجُ تَقْلُورَت (0) 4 (يوسف: 2).

وبالتالي كانت اللغة العربية لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة؛ إن لغة الدين الإسلامي. خصائص اللغة العربية:

إن اختيار اللغة العربية لتكون لغة الدين الإسلامي دليل على مكانتها النابعة من الخصائص والميزات الموجودة فيها دون غيرها من اللغات» ومن أهم هذه الخصائص:

1- القدم: إن الباحثين وإن اختلفوا في تحديد زمن نشأة اللغة العربية إلا أنهم متفقون على أن اللغة العربية من أقدم اللغات الموجودة حالياً وأما اللغات التي كانت قبل اللغة العربية فمنها ما اندثرت القنطبة التي كانت موجودة قبل اللغة العربية فمنها ما اندثر كالأشورية والقبطية» ومنهم من انقسم إلى لغات متعددة. (1)

(0) أنور الجندي» الفصحى لغة القرآن»

ص28-29: شرف القضاة ، آخر ، 0؛ محاضرات

1 الإنطقيك سو شرف القضاة وآخرون؛ محاضرات في

هم

صفحة 79

2- القداسة: اللغة العربية كما ذكرنا هي لغة القرآن الكريم والسنة النبوية؛ ومن هنا فقداستها مستمدة من قداسة الوحي.

3- الخلود: وخلودها مستمد من خلود الوحي -القرآن الكريم والسنة النبوية- فهي لغتهء وهي خالدة بخلوده الذي تكفل الله به؛ يقول تعالى: ١ إِنَّا عَمُّنُ بَيْنَ ا نَكَ حَفِظْنَ 7 « (الحجر: 9).

4- الجمال: فلغتنا فيها من الجمال ما لا يوجد في غيرها من اللغات» ويظهر جمالها في أمور جمّة؛ مثل الفصاحة والبلاغة والخط العربي وغير ذلك من

5- السعة والمرونة: وتظهر هذه الخصيصة في الأمور الآتية:

أ- احتواء لغتنا العربية على 80 ألف مادة (لا كلمة)؛ ومواد اللغة العربية تتفرع إلى كلمات؛ والمستعمل من هذه المواد فقط عشرة آلاف مادة» ولو نظرنا إلى اللغة الفرنسية فعدد كلماتها حوالي 25 ألف كلمة؛ وأما اللغة الإنجليزية فعدد كلماتها حوالي 100 ألف كلمة. وبالتالي فليس في الدنيا لغة اشتقاقية غنية بكلماتها إلى هذا الحد مثل لغتنا العربية.

ب- في لغتنا العربية 28 حرفاً ليس فيها أصوات مكررة: أما اللغة الإنجليزية ففيها 26 حرفاً فيها حروف كثيرة تدل على أصوات مكررة.

ج- ومن مظاهر السعة كثرة ما يمكن اشتقاقه من المصدر الواحد.

د- كثرة أسماء الأشياء فنجد في اللغة العربية أسماء كثيرة للشيء الواحد فللأسد مثلاً 150 اسم وللعلسل 80 اسم وهذا لا يوجد في غير لغتنا

هـ- كثرة علومها فهي تحتوي على علوم النحو والصرف والبيان والمعاني والعروض والبديع والنقد وغيرها من العلوم.

صفحة 80

و- القدرة على تعريف الأسماء والمخترعات الجديدة؛ والقدرة على التعريب. (1)

محاربة اللغة العربية:

بما أن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ولغة الاجتهاد» فقد تعرضت على مر الزمان إلى حملات طعن وتشكيك؛ كان الهدف في كثير منها الوصول إلى الطعن في القرآن الكريم نفسه» وبالتالي الطعن في الدين الإسلامي؛ ولذلك فإن محاربة اللغة العربية هي محاربة للدين الإسلامي. ومن أبرز مظاهر محاربة اللغة العربية:

1 - محاولة إيقاف نموها واتساعها:

فقد حاول أعداء الإسلام منع انتشار اللغة العربية في كثير من الدول الإسلامية» بل حاولوا تجميدها في الدول التي تحدث بها. ومن الأمثلة على ذلك:

- أ- محاولة تجميدها في مصر من خلال الدعوة إلى دراسة اللغات القديمة كالقبطية؛ والادعاء بأن اللهجة العامية المصرية لغة مستقلة سابقة على اللغة العربية التي هي أصلاً لغة أجنبية.
- ب- في الهند كانت لغة المسلمين هي اللغة الأردية التي كانت تكتب باللغة العربية إلا أن غاندي طالب بإلغاء هذه اللغة واعتماد اللغة السنسكريتية.
- ج- في تركيا أعلن العلماني مصطفى أتاتورك إقصاء الحروف العربية من اللغة التركية واعتماد الحروف اللاتينية؛ ومنع الأذان باللغة العربية

(« أنور الجندي» المرجع السابق ص7-17, عبن

الرحمن السيوطي, المزهري في علوم اللغة؛

ج325/1: ص407.

-80-

صفحة 81

وفرضه باللغة التركية» وخطط لجعل الترجمة التركية للقرآن لغة العبادة. (1)

2- الدعوة إلى التأليف بالعامية ومحاربة اللغة الفصحى:

فقد تقدم جماعة من المستشرقين مثل 'وليم ويلكوكس' وغيره إلى التأليف باللغة العامية (المحكية)» وشجعت حكومات الاحتلال على إنشاء صحف تكتب

بالعامية؛ ودعا وليم إلى ترجمة فصول من الإنجيل إلى اللغة العامية ومن الذين ساروا في ركب هؤلاء المستشرقين: لويس عوض وأحمد لطفي السيد وغيرهم.()

3- الدعوة إلى إصلاح اللغة العربية وتطويرها:

ومن أمثلة ذلك:

أ- الدعوة إلى استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية» وممن دعا إلى هذا عبد العزيز فهمي باشا.

ب- التخلي عن قواعد النحو والصرف بدعوى أنها صعبة وبالتالي المنادة بأن تكون أواخر الكلمات في اللغة العربية ساكنة.

ج- حذف الألفاظ المترادفة والمتضادة لأن هذا إسراف وتعقيد.

د- التخلي عن الاستعارة والمجاز.

فهم باختصار يريدون ابتكار لغة جديدة بعيدة كل البعد عن لغة القرآن الكريم» ليصبح بالتالي القرآن عبارة عن طلاس لا نفهم من معانيه شيئاً.

ومن أبرز الذين دعوا إلى هذا: طه حسين؛ وسلامة موسى وقاسم أمين» وأنيس فريحة» وأحمد لطفي السيد وغيرهم.(3)

" أنور الجندي المرجع السابق ص109-103؛ ضابط تركي سابق» الرجل الصنم» ص345

0) أنور الجندي؛ المرجع السابق ص126 وما بعدها.

أنور الجندي؛ المرجع السابق ص156-146.

-81-

صفحة 82

إن هؤلاء وأمثالهم لم ولن يستطيعوا سلبنا عن لغتنا العربية؛ فهي كما مر معذلة مقدسة وخالدة لأنها لغة الوحي وأما هم فلا قداسة ولا خلود لهم قد فرغوا لغتنا باقية» ونقول لهم ولكل من اتبع سبيلهم؛ إذا كنتم قد وقعتم تحت تأثير الإسلام من مستشرقين ومبشرين وغيرهم؛ فاقروا ماذا يقول هؤلاء الأعداء عن

يقول جاك الفرنسي:

'أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية , بل اللغة العربية الكلاسيكية الفصحى بالذات» فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا".

ويقول المستشرق ابري:

"إن اللغة العربية لغة حيّة» وحضارة العرب حضارة مستمرة؛ فهي حضارة: الأمس واليوم والغده وعن طريق العرب عرفت أوروبا الحضارة" (17)

المطلب الرابع القاريخ الإسلامى

تعريفه: هو الذاكرة التي تحفظ وجود الأمة الإسلامية من حيث أعمالها وأحداثها وآثارها ووثائقها في ماضيها وحاضرها .
أهميته: تبرز أهمية التاريخ الإسلامى باعتباره رافداً من روافد الثقافة الإسلامية في كونه:

1- يدرس سيرة الرسول بيك والصحابة الكرام -رضوان الله عليهم
والتابعين وتابعيهم, وكذلك مراحل الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة

ا

" أنور الجنديء المرجع السابق ص304-302,

صفحة 83

والمدينة المنورة (فهو تاريخ الشريعة الإسلامية التطبيقي الواقعي الذي تحقق فيه الإسلام في واقع المسلمين). (1)

2- يعطي صورة صادقة للفتوحات الإسلامية في الشرق والغرب؛ مع بيان المنهجية الإسلامية والمنهجية الغربية في هذه الفتوحات.

3- يسهم إسهماً مباشراً في صياغة الأمة الإسلامية من حيث الشخصية والهوية والذات وحب الانتماء.

وسائل الأعداء في محاربة التاريخ الإسلامى:

تعرض التاريخ الإسلامي لموجات من الهجوم الشديد في الماضي والحاضر والتي ما زلنا نعيش آثارها حتى هذا اليوم.

وقد اتبع الأعداء في محاربة التاريخ الإسلامي المنهجية التالية:

- 1- التركيز على الجانب السياسي المادي في التاريخ الإسلامي» وإهمال الجانب المعنوي الفكري» فقد وصفوا الإسلام بأنه دين السيف والقتل والدم والإرهاب» وأغفلوا أنه دين السلام والحياة والتسامح والمحبة.
- 2- طمس منجزات الإسلام المادية وغير المادية» والمتمثلة في التراث والفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية في مختلف العلوم والفنون.
- 3- إحياء تواريخ الحضارات السابقة على الإسلام» والتركيز عليها وعمل متاحف خاصة لها» مثل: التاريخ الفرعوني والبابلي والإغريقي والفارسي والروماني.
- 4- تدريس التاريخ الغربي الأوروبي لأبناء المسلمين» وجعله مقررًا ضمن مناهج وزارات التربية والتعليم في الدول العربية والإسلامية» كبديل عن تاريخ العرب والمسلمين» حتى أصبح الواحد منا يعرف عن أبناء الغرب أكثر مما يعرف عن أبناء الإسلام.

'' ! صالح هندي وآخرون؛ المرجع السابق ص86.

-83-

صفحة 84

- 5- تفسير التاريخ الإسلامي تفسيراً مادياً بحتاً وأنه تاريخ المصالح المادية والمكاسب الشخصية؛ وقراءته قراءة تشكيكية بعيدة عن المنهج الإسلامي.

المنهج الإسلامي لتفسير التاريخ:

ويمكن تلخيصه في النقاط التالية: ()

- 1- أن القرآن الكريم والسنة النبوية» هما أول من وجها فكر المسلمين إلى التعامل مع التاريخ؛ وربط حركة التاريخ بالقواعد الإيمانية والأخلاقية.

2- إظهار الرؤية الإسلامية في فهم حركة التاريخ وقراءة أحداثه.

3- أن القرآن الكريم وضع معياراً ثابتاً ومحددًا لانهيار الأمم وأن سنة الله في عقابها ماضية إلى يوم القيامة» قال تعالى: + وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَبْلِكَ أَزْوَاجًا ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (الأنبياء: 11).

4- أن هلاك الأمم وزوالها يكون بأجل محدود قال تعالى: 2 وَيَلْكَ لَتَرْ متهم لما طلوا مملهم معدا (2) 4 (الكيف: 59).

5- أن الأيام سجال بين الناس» تسقط حضارة:» وترتفع أخرى قال تعالى:

يق اليم داولا ين الاين وَلِمَ هه اليرت امنا وعد يخ شهدا هلال (2) (آل عمران: 140).

والمقياس الذي تقاس به حضارة الأمم وفق التفسير الإسلامي للتاريخ هو مقدار التزام هذه الحضارة بشعر الله تعالى أو بعدها عنه.

1

() أذ ندىء أذ 1 8

أنور الجنديء أخطاء المنهج الغربي الواقد, ص180-177. محمد أبو يحيى وآخرون؛ المرجع السابق ص88.